آليات انسجام النص في سورة الأحزاب

د. عبد الرزاق رحماني ، جامعة هرمزكان
د. اسحق رحماني ، الباحث علي خطيبي
جامعة شيراز

الملخص

إنّ اللغة أداة اتصال بين البشر تحقق غرض التبليغ والتواصل، ولذلك كانت محل دراسة وعناية وتحليل. وقد كانت الجملة الوحدة الأساسية للدراسة خصوصاً عند أصحاب النظريات اللسانية. وبعد مدة قد طرأت بعض النقائص على محورية الجملة إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلاً عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى «النص». ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص ويبحث في تماسكها وتعالقها حتى تكون وحدة كلية تؤدي أغراضاً معُينة.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة السياق بأنواعه وبنية الخطاب والتغريض والمناسبة.وقد توصل إلى أن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، فالقرآن كلمة واحدة في تلاحمه وانسجامه.

الكلمات الرئيسة: تحليل النص، الانسجام والاتساق، القرآن الكريم، سورة الأحزاب

Abstract:

Language is a communication tool between humans for the purpose of propagation and communication, and has therefore been studied, examined and analyzed. The sentence was the basic unit of study, especially in linguistics. After some time, there were some shortcomings in the centrality of the sentence, since the meaning cannot be studied separately from the bigger linguistic context or the «text». It is from this point of view that a new science has emerged which deals with the study of texts and examines their coherence and transcendence so that they become a whole unit that leads to specific purposes.

This study followed the analytical descriptive method being divided into two parts: a theoretical study and an applied study through which we studied the context of various types, discourse structure, and topics.

We have come to realize that the unity of the Qur'an is manifested in its diversity and that the various topics at stake bring us to the unity of the subject through accurate knowledge of the Qur'an. The Qur'an is one word in its cohesion and coherence.

Key Words: Text Analysis, coherence and Consistency, Holy Quran, Surat Al-Ahzab

المقدمة:

عرفت الدراسات اللسانية في الفترة الأخيرة تطورا ملحوظاً من نحو الجملة إلى نحو النص، أو ما يعرف باللسانيات النصية التي أعطت للنص قدراً كافية وعناية أكبر. فهذه الدراسات تكشف العلاقات والوسائل التي تمنح النص التماسك والانسجام القائم على العلاقات الاتساق والانسجام. فالاتساق والانسجام من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة ومن أهم القضايا التي اهتم بها المسلمون والعرب في دراسة نصوصهم الأدبية بالأخص في القرآن الكريم. وهذا الانسجام والاتساق في القرآن شغل المستشرقين حتى أن منهم من رأى أن القرآن كتاب غير منسجم.

أسباب اختيار الموضوع:

1-البحث عن أهمية الاتساق والانسجام في الدراسات القرآنية.

2-الرغبة في معرفة مدى انسجام سورة الأحزاب.

3-أثر الدراسات التي تناولت النصوص بالتحليل والوصف.

وتجسيدا لهذا الغرض اخترنا لهذا البحث عنوان (آليات الانسجام النصي في سورة الأحزاب).

الدراسات السابقة: وقد سبق إلى مثل هذه الدراسات بعض الباحثين منهم:

بولقرون ابتيسام وبلعيدان نورة(2016م) في رسالتهما لنيل الماجستير تطرقتا إلى دراسة آليات الانسجام في القرآن تحت عنوان (الاتساق والانسجام في القرآن الكريم سورة محمد-نموذجا) وقد وجدتا أن آليات الانسجام في التماسك الشكلي للسورة عديدة. منها: الإحالة بنوعيها، الوصل والفصل والتكرار والحذف وغيرها من الأدوات التي أكدت على التماسك النصي للسورة.

بوستة، محمود(2009م) في رسالته لنيل الماجستير تحت عنوان (الاتساق والانسجام في سورة الكهف) ووجد أن الأدوات التي ساهمت في اتساق السورة عديدة منها: الحذف والتكرار وقد أبرز السياق النصي للسورة والآية والمقطع جزءاً من التماسك الدلالي.

وفي دراسة أخرى لنيل درجة الدكتوراة قامت الدكتورة نوال لخلف(2007م) بدراسة سورة النور وانسجامها. وقد اختارت سورة النور لأسباب منها: خلوها من السرد القصصي المتتابع الذي يفرض انسجامه على النص ووصلت في النهاية إلى نتائج عدة أهمها أن إعجاز القرآن إعجاز ملازم للخطاب القرآني، ولا يمكن أن ينتهي عند عنصر معين، لأن قراءته متجددة وذلك من أسباب خلوده عبر الزمن.

وقد قد تناولت دراستنا سورة الأحزاب لما تضمنته من مشاهد عظيمة يكاد القارىء والمتلقي لا يجد بينهما حلقة وصل وكذلك لما تشمله من تكريم وتشريف لنبي الأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أسئلة البحث:

1 ما معنى كل من الاتساق والانسجام؟

2 كيف يساهم الانسجام في تحقيق التماسك النصي في بنية سورة الأحزاب؟

3. ما هي آليات الانسجام التي وردت في انسجام سورة الأحزاب؟

المنهج: وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة حيث قسمت الدراسة إلى القسمين: دراسة النظرية ودراسة التطبيقية.

مفهوم الانسجام:

لغةً: تدور مادة (سَجَمَ) في قاموس المحيط حول عدد من الدلالات، فيقال: «سجم الدمع سجوماً وسجاماً، ككتاب، وسجمته العينُ والسحابةُ الماءَ، تسجِمُه وتسجُمُه سجماً وسجوماً وسَجماناً وتسجاماً: قَطَرَ دمعها. وسال قليلاً أو كثيراً، وسجمه هو، وأسجمه وسجّمه تسجيماً وتسجاماً. والسجمُ، بالتحريك: الماء، والدمعُ، وورق الخلاف، والأسجم: الأزيمُ وسجم عن الأمر: بطا»[1].

سَجَمَتِ العين الدمع والسحابةُ الماء تَسْجِمُه و تَسْجُمُه سَجْماً وسُجُوماً وسَجَماناً: وهو قَطَران الدمع وسَيَلانه، قليلاً كان أَو كثيراً، وكذلك الساجِمُ من المطر، والعرب تقول دَمْعٌ ساجِمٌ.

وأَسْجَمَتِ السماءُ : صَبَّت مثل أَثْجَمَتْ. [2]

فمن خلال هذا التقصّي للمعاني المتعلقّة بمادة (س ج م) نجد أنها تدور حول القطران والصّب والسيلان، والانصباب والدوام.

اصطلاحاً: إنّ لمصطلح الانسجام أهمية خاصة في مجال لسانيات النص؛ فبالانسجام يتمّ الكشف عن التلاحم الحاصل بين الكلمات والجمل والفقرات والنص كاملاً، ولذلك فهو في رأي "شارول" من الانسجام مبدا عاماً للتأويل وشكلاً مسبقاً للتعرف على مجموع لغوي باعتباره نصاً[3].والانسجام عند "فان دايك"« هو التماسك الدلالية بين الأبنية النصية الكبرى»[4].

فذكر السيوطي (ت 911هـ) عن خصائص الكلام المنسجم: «أن يكون الكلام لخلوّه من الانعقاد منحدراً كتحدّر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه، وغذوبة ألفاظه أن يسطل رقةً. والقرآن الكريم كلّه كذلك جاءت قراءتــه موزونـــة بلاقصد لقوة انسجامه.»[5].

فمما تربط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هو أن المعنيين اللغوي والاصطلاحي مرتبطان معاً ارتباطاً وثيقــاً. حيث أنّ الانسجام بمعنى انصباب الماء ونزول المطر ودوامه يقابله الانسجام بمعنى انصباب معاني الـــنص وتواليهـــا وتتابعها

آليات الانسجام النصي في سورة الأحزاب: آليات الانسجام النصي تقوم على أربعة عناصر، هي:

أولاً. السياق: يقوم السياق في سورة الأحزاب على محورين:

1: محور التقطيع والهندسية الخارجية: جاءت سورة الأحزاب كسور القرآن كلّها مقسّمة إلى وحدات منظّمة وفق ترتيب محدّد، يربط بينها روابط خفية بني عليها الخطاب في السورة.

فبنية السورة عند سيد قطب تقوم على ست أشواط يدور حول المحور الرئيس الأول للسورة هو النبي صلى الله عليه وآله سلم وتشريفه وتنزيهه مع آل بيته والمؤمنين معه. كما تدور حول محور آخر هو ربط الأحداث والتنظيمـــات بالأصل الكبير وهو أصل العقيدة في الله والاستلام لقدره.

الهندسة الخارجية

الأشواط الستة عند سيد قطب:

الشوط الأول: توجيهات للنبي وإبطال الظهار وميثاق الأنبياء.

الشوط الثاني: بيان نعمة الله على المؤمنين، إذ ردّ كيد الأحزاب والمهاجمين.

الشوط الثالث: عرض لتصورات المؤمنين الصادقين ولموقف الأحزاب وتصورات المنافقين والذين في قلوبهم مــرض ليكشف عن القيم الصحيحة والزائفة من خلال تلك التصورات.

الشوط الرابع: تناول إشارة غير صريحة إلى موضوع تزويج زينب بنت جحش من زيد بـــن حارثـــه مـــولاه. وتوضيح حقيقة العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وآله سلم والمومنين كافة وختم هذا الشوط بتوجيهـــات للرســـول والمؤمنين.

الشوط الخامس: بيان حكم المطلقات قبل الدخول وتنظيم الحياة الزوجية للنبي صلى الله عليه وآله سلم.

الشوط السادس: يتضمن سؤال الناس عن الساعة والإجابة على السؤال بأنّ علم الساعة عند الله والتلويح بأنها قد تكون قريبة[6].

2: سياقات سورة الأحزاب

أ.سياق السورة:

جاءت سورة الأحزاب منسجمةً ومعبرة عن أغراض القرآن الكبرى. وقررت هذه السورة الكريمة أنّ الله- جـــلّ وعلا- كامل في صفاته ذو الأسماء الحسنى وذلك من خلال خواتيم الآيات (رؤوس الآية) من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[7]

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[8]

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[9]

وأن لا أحد يخرج من قبضته وأن لاعاصم من الله إلّا هو، ولا ولي ولا نصير من دونه سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَـــا نَصِـــيرًا ﴾[10]

ومن كانت هذه صفاته فهو أهل لأن يعبد وحده فلا يشرك معه أحد وهو أهل لأن يطاع فلا يعصي. وهل نـــزل القرآن العظيم إنّ ليبين وحدانية الله-جل في علاه-وعبادته؟

وأنّ الأحداث والتنظيمات التي وردت في السورة ترتبط بالأصل الكبير وهو أصل العقيدة فـــي الله والاستســـلام لقدره[11].

سورة الأحزاب سورة مدنية نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله صلى الله عليه وآله سلم وطعنهم فيـــه وفـــي مناكحته وغيرها[12].

كما أن هذه السورة تتناول قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى، إلى ما قبل صلح الحديبية، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين في المدينة تصويراً واقعياً مباشراً. وهي مزدحمة بالأحداث التي تشير إليها خلال هذه الفترة، والتنظيمات التي أنشأتها أو أقرتها فـــي المجتمـــع الإســـلامي الناشـــئ والتوجيهـــات والتعقيبات على هذه الأحداث والتنظيمات قليلة نسبياً ولا تشغل من جسم السورة الأخير محدوداً[13].

ب.سياق المقطع: يمكننا التماس السياقات التي تدور حول محور السورة الرئيس أي تكريم النبي صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم وتشريفه، فتحقق الانسجام في السورة:

*«افتتاح السورة بخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونداؤه بوصفه مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلـــق بأحوال النبي صلى الله عليه وآله سلم»[14]

ونداء النبي عليه الصلاة والسلام بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره[15].

* تكريمه بإعطائه الولاية للمؤمنين على أنفسهم:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[16].

* تكريمه بتكريم أزواجه:﴿ وَأَزْوَاجُهُأُمَّهَاتُهُمْ﴾[17].

* كرمه بأن جعله من أولي العزم:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَـــرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[18] منك: التقديم للتكريم

* كرمه بأن جعله أسوة للعالمين وللناس:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّـــهَ وَالْيَـــوْمَ الْـــآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[19].

* كرمه بنصره على الأحزاب دون قتال:﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَـــانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[20].

* كرمه بأن جعل طاعته من طاعة الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَـــرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[21].

* كرم مولاه:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَـــرَجٌ فِـــي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[22] الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القـــرآن وهـــذا شـــرف عظيم.

* كرمه بأن رفع عنه الحرج:﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْـــلُ وَكَـــانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[23].

* كرمه بتكريم أمته:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[24].

* تكريم بيوته:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ... ﴾[25].

* كرمه بأن حرّم تزوج زوجاته بعده: ...﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾[26].

* كرمه بالصلاة عليه وأمر الجميع بالصلاة عليه﴿: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[27].

* كرّمه بتوعد الذين يؤذونه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[28].

ج. سياق الآية: يظهر أهمية السياق على مستوى الآية في توجيه المفسرين لمعنى بعض الألفاظ التي تعرف دلالتها من خلال سياق الآية:

منها: كلمتا فوقكم وأسفل منكم في آية:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾[29].

ودلالة الآية تدلنا على أنّ لماذا الله سبحانه تعالى اختار لفظة فوقكم بدل أعلاكم، لأنّ الفاعل هنا هم الكفار والمنافقين ولا يريد الله سبحانه تعالى أن تدل كلمة(أعلى) على علوّ درجة المنافقين على المؤمنين. فاختار لفظه(فوقكم) التي تدل على علو المكان لا المكانة وفي المقابل قد استفاد السياق القرآني في لفظة (أسفل منكم) بدل من (تحتكم) لتدلّ على دنّو المنزلة والقدر والمكانة.

كلمة «هلمّ» في آية: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[30].

وقد ذكر صاحب بحر المحيط عن الزمخشري:«وهلموا إلينا، أي قرّبوا أنفسكم إلينا، قال: وهو صوت سمي به فعل متعد مثل: أحضر، أقرب، انتهى.والذي عليه النحويون أن هلمّ ليس صوتاً، وإنما هو مركب مختلف في أصل تركيبه؛ فقيل: هو مركب من ها التي هي للتنبية ولم، وهو مذهب البصريين. وقيل: من هل وأم والكلام على ترجيح المختار منها مذكور في النحو. والنحويون: أنه متعد ولازم؛ فالمتعدي كقوله:﴿قل هلمّ شهداءكم ﴾[أي] أحضروا شهداءكم، واللازم كقوله: (هلم إلينا)وأقبلوا علينا»[31].

إذن علمنا أهمية السياق في توجيه المفسرين والنحويين على مستوى الآية ولابد أن نعلم أنّ في هذه السورة قد ذكرت تراكيب وعبارات لم ترد مكان آخر وفي سور أخرى من القرآن وقد ذكرناها مما لا يستوجب تكرارها في هذا الموضع. إلا أننا نشير أن هده التراكيب قد أخذت موقعها ودلالاتها من خلال آيات هذه السورة المباركة.

ثانياً: بنيه الخطاب: تهتم بنية الخطاب بعناصر الخطاب الأساسية (المرسل والمتلقي، والرسالة)، وطبيعة بنية الخطاب القرآني تختلف عن أية بنية خطاب أخرى؛ فالمرسل لا يختلف فهو الله-عزوجل-والمتلقي يتعدد ولا يختلف؛ فالمتلقي الأول هو جبرئيل-عليه السلام-ثمّ المتلقي الثاني رسول الله –صلّ الله عليه وسلم-ثم المتلقي الثالث المسلمون من زمن النبي إلي قيام الساعة.

تتميز البنية الكبرى في النص القرآني بصعوبة التحديد، لأنه يصعب أن يختزل كلام الله-عزوجل-في جملة واحدة، أو أكثر. وبالرغم من ذلك فقد اتفق المفسرون حول الكثير من القضايا الواردة في النص القرآني وكان اختلافهم اختلافاً جزئياً، لا يمس جوهر البنية الكبرى لكل سورة من سور القرآن الكريم.

يلاحظ بادي ذي بدء أنِ البنية الكبرى سورة الأحزاب ترتبط بالمشاهد الواردة في الآيات من خلال القواعد الكبرى، وهي كما حدّدها (فان دايك): الحذف والاختيار والتعميم والتركيب.

لكن البنية الكبرى في السورة ترتبط ارتباطا وثيقاً بموضوع الآيات الكلي تجيب عن سؤال مهم:

عمّ تتحدث الآيات؟ وما الهدف فيها؟

كما أشرنا أن بنية خطاب هذه السورة الشريفة يدور حول محور رئيس هم تشريف النبي صل الله عليه وآله وسلم وتنزيهه مع آل بيته والمؤمنين معه:

ولما صدر سبحانه هده السورة بذكر النبي صلّ الله عليه وآله سلم وقرر في أثناء السورة ذكر تعظيمه؛ ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه.

والمحور الثاني يدور حول ربط الأحداث والتنظيمات بالأصل الكبير، وهو أصل العقيدة في الله والاستسلام لقدره. والمحور الثالث هو الحديث عن غزوة الأحزاب التي سميت السورة بها، والحديث عن نعمة الله على نبي صلى الله عليه وآله سلم وأصحابه الكرام بالنصر المؤزر على قوى الباطل في هذه الغزوة[32].

إنّ البنية الكبرى لأية سورة تختلف باختلاف التأويل والتفسير والمواقف والسياقات إلّا أنّ هذا الاختلاف لا يتحاور حدود الصياغة في كثير من الأحيان.

المهم أنّ انسجام النص في المستوى الدلالي وانسجام المقطع والمحاور يتعين من خلال البنية الكبرى لها التي جعلت السورة تبدو كالكلمة الواحدة في تلاحمها واتساقها وهو يمثّل روح النظم القرآني كله.

ثالثاً: التغريض: ترد المشاهد القرآنية في سورة الأحزاب منسجمة مع أهداف السورة وموضوعاتها:

المشهد الأول: أمر الرسول بالتقوى وعدم اتباع الكافرين واتباع الوحي.﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[33].

المشهد الثاني: غزوة الأحزاب.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[34].

المشهد الثالث: مطالبة أزواج الرسول بالنفقة واعتزال الرسول لهن 29 يوما.﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[35].

المشهد الرابع: تكريم المؤمنين.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[36].

المشهد الخامس: تكريم الرسول(ص).﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[37].

المشهد السادس: الطلاق والزواج عند المؤمنين.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[38].

المشهد السابع: خاص بأسرة النبي وأزواج النبي﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ...﴾[39].

المشهدالثامن: عدمإيذاء النبي.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ...ا﴾[40].

المشهد التاسع: الحجاب. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[41].

المشهد العاشر: عودة للمنافقين والخطاب للمؤمنين لكنه مبطن ويخاطب المنافقين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[42].

قد بينا المشاهد التي احتوتها السورة المباركة لكن السؤال المهم هو من بين كل هذه المشاهد لماذا سميت السورة بالأحزاب وهو مشهد واحد من مشاهد السورة؟

الجواب هو لأن غزوة الأحزاب كانت أشد غزوة على المسلمين حيث اجتمع المشركون وأتوا من غطفان وقريش وتحزّب المنافقون ويهود بني قريظة وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف والرعب وزلزلوا زلزالا شديدا.

ولابد إن نتذكر أن الله سبحانه تعالى قد سمى هذه الغزوة بـ(النعمة) في قوله تعالى:﴿«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[43].

وكما ذكرنا أن محور الرئيس للسورة هو تكريم النبي وأهل بيته والمؤمنين جميعا وأن غزوة الأحزاب هي أفضل وأشرف تكريم لأفضل نبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم. ومما لابد أن نركز عليه أن جميع المشاهد قد بدأت بنداء النبي (يا أيها النبي) أو نداء المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) وهل هناك تكريم وتشريف أجل وأعظم من أن يناديك الرب سبحانه وتعالى.

رابعاً: المناسبة: البحث في المناسبة بين الآيات والسور ذو أهمية كبرى في إظهار الانسجام النصي في القرآن، وهو أمر ليس باليسير، وقد شعر العلماء والمفسرون القدامى بأهمية وصعوبة في الوقت ذاته. فها هو الزركشي(ت 794هـ) يذكر أنّه «قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممّن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[44].

وعلى هذا فالسؤال عن المناسبة له عدة جوانب، نذكرها فيما يأتي:

التناسب بين سورة الأحزاب وما قبلها وما بعدها: إذا نظرنا إلى موقع سورة الأحزاب في القرآن نجد أنها تقع بين سورة السجدة قبلها وسورة سبأ بعدها:

بين سورة الأحزاب وسورة السجدة:

«ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها -سورةالسجدة-واضحة، وهو أنه حكي أنهم يستعجلون بالفتح، وهو الفضل بينهم، وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم، فأفره في أول هذه السورة بتقوى الله، ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به»[45].

«ولما ختمت قبلها بالإعراض عن الكافرين، وانتظار ما يحكم به رب العالمين، بعد تحقيق أنّ تنزيل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله، والنهي عن الشك في لقائه، افتتح هذه بالأمر بأساس ذلك، والنهي عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مساترين، والأمر باتباع الوحي الذي أعظمه الكتاب تنبيهاً على أن الإعراض إنما يكون في طاعة لله مع مراعاة تقواه»[46].

ومن جانب التناسب اللفظي لو نظرنا إلى آخر سورة السجدة لوجدناها تخاطب النبي صلى الله عليه وآلهسلم وتأمره بالأعراض عنهم والانتظار وفي بداية سورة الأحزاب استمر على هذا النسق من الجمل حيث أمر الله بالتقوى وعدم إطاعة الكافرين والمنافقين.

بين سورة الأحزاب وسورة سبأ:

«ولما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها وهي جميع ما في الوجود من المنافع على السماوات والأرض والجبال. فأشفقن منها وحملها الإنسان الذي هو الأنس والجان، وأنّ نتيجة العرض والأداء العذاب والثواب، فعلم أنّ الكل ملكه وفي ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر سطوته وقاهر جبروته وأنه المالك التام الملك والملك المطاع المتصرف في كل شيء من غير دفاع، وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتدأ سورة سبأ بقوله «الحمد»[47].

التناسب بين بداية السورة وخاتمتها: من سنن العرب في نظم كلامهم أن يوازنوا بين البداية والنهاية بحيث أن يكون بينه ارتباطا وجسرا يربطه في بعض.

وقد جاء القران الكريم على سنن العرب في كلامها في فنونه البديعية وأفانينه البلاغية البيانية وكان من ذلك أن يستقيم المعني في أول السورة وآخرها[48].

تبدأ السورة بتوجيه الرسول صلى الله عليه وآله سلم إلى طاعة الله وعصيان الكافرين والمنافقين واتباع الوحي والتوكل على الله وحده دون سواه:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا*وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[49].

«وتختم السورة بإيقاع هائل عميق الذي يصور جسامة التبعة وضخامة الدمانة ويحدد موضع الجسامة ومنشأ الفخامة ويحصرها كلّها في نهوض الإنسان بمغرية الله والاهتداء إلى ناموسه والخضوع لمشيئته. بهذا الإيقاع تختم السورة، فيتناسق بدؤها وختامها مع موضوعها واتجاهها، ذلك التناسق المعجز، الدال بذاته على مصدر هذا الكتاب»[50].

التناسب بين المشاهد في السورة الواحدة: كما ذكرنا وبينا أن السورة تحمل بين دفّتيها عدة مشاهد أساسية ورئيسية وربط بين هذه المشاهد هو تكريم النبي صلى الله عليه وآله سلم سواءا بتكريمه هو نفسه صلى الله عليه وآله سلم أو تكريمه من خلال أهل بيته ومولاه والمؤمنين. ونملح هذا التكريم في بداية جميع المشاهد المذكورة أنها بدأت بنداء النبي (يا أيها النبي) أو نداء المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) وقد ذكر النبي بالتعريف في هذه السورة المباركة 15 مرة، خمس مرات منها بالنداء كما نادي اللهُ المؤمنين 7 مرات. وهل هناك شرف أعظم وأجل من هذا الشرف؟

النتائج: قد خرج البحث بعدد من النتائج، هي على ما يأتي:

- يمكن اعتبار لسانيات النص أحدث فروع علم اللغة، ويعد مرحلة انتقالية من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتبار النص الوحدة المركزية.
- كان للعرب إسهاما مباشرا وغير مباشر في الدراسات النصية وذلك من خلال علم التفسير والعلوم القرآنية الأخرى إلا أن ذلك العلم لم يكن ليصبح علما متكامل الأركان.
- القرآن الكريم قطعة واحدة في السبك والانسجام والصياغة والبلاغة وهذا أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم.
- إن البنية الكبرى من خلال تبيينها للانسجام الكلي قد جعلت السورة تبدو ككلمة واحدة في تلاحمها.
- أسهم موضوع وبنية الخطاب في إدراك تماسك النص عندما عادت الأحداث الأساسية إلى ذلك الموضوع والغرض.
- لعنوان النص أهمية كبرى في التماسك النصي، إذ أنه من خلال العنوان نضبط انسجام النص وندرك الهدف العام.
- كما أثبت هذا البحث التناسب بين بداية السورة مع ما قبلها (آخر سورة السجدة) ونهاية السورة مع بداية ما بعدها (سورة سبأ). كما بيّن تناسب آيات السورة مع بعض وتناسب بداية السورة مع نهايتها.

الهوامش:

[1] . الفيروزآبادي، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب(2005م).القاموس المحيط.لبنان، بيروت، دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في موسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقوسي، ص 1119.

[2].ابن منظور.محمد بن مكرم بن علي(1414هــ).لسان العرب،ج12،ط3،لبنان، بيروت. مادة:سجم.

[3] .شارودو، باتريك و دومنيك مونغو وآخرين(2008م).معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود. تونس، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ص 100.

[4] . البحيري، سعيد حسن(1997م). علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1. لبنان، الشركة العالمية للنص، ص220.

[5] .السيوطي، جلال الدين(د.ت). الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، ج3. مصر، القاهرة، دارالتراث، ص 259-260.

[6].قطب،سيد(2003م).في ظلال القرآن، دار الشروق،ط23، ج5، ص2819-2821.

[7]الأحزاب، الآية: 1.

[8] الآية: 2

[9] الآية: 37

[10] الآية: 17

[11]. قطب، سيد (2003م). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط23، ج5، ص2819.

[12].القرطبي، أبو عبدالله محمد بن احمد أبي بكر(2006م). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي القرآن تحقيــق: عبــدالله التركي، موسسةالرسالة..ط1.ج17، ص48.

[13]. قطب، سيد (2003م). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط23، ج5، ص2818.

[14] . ابن عاشور، محمد طاهر(1984م). تفسير التحرير والتنوير. تونس، دار التونسية للنشر، ج8، ص249.

[15] .نفس المصدر

[16].الأحزاب:6

[17]. الآية: 6

[18].الآية:7

[19].الآية:21

[20].الآية:25

[21].الآية:36

[22].الآية:37

[23].الآية:38

[24].الآية:43

[25].الآية:53

[26].الآية:53

[27].الآية:56

[28].الآية:57

[29].الآية:10

[30].الآية:18

[31].أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف(1993م). تفسير البحر المحيط. ط1. المحقق: عادل أحمد، علي معوض. دار الكتاب العلمية، ج7، ص214.

[32].الخطيب، عبدالله(2009م). مكانة النبي وخصائصه في سورة الأحزاب. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و القانونية، ج6، ص81.

[33].آية:1

[34].آية:9

[35].آية:28

[36].آيات:41-43

[37].آية:45

[38].آية:49

[39].آية:50

[40].آية:53

[41].آية:59

[42].آية:70

[43].آية:9

[44].الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله بن بهادر(د. ت). تحقيق: مجد أبوالفضل ابراهيم، لبنان، بيروت، دارالمعرفة، ج1، ص270.

[45]. أم حسان،2017م:https://vb.tafsir.net/tafsir35517/#.Wg3-LFuCzIU1

[46]. البقاعي، برهان الدين ابراهيم بن عمر(1480م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج1. مصر، القاهره، دار الكتاب الإسلامي، ج15: 273.

[47].المصدر نفسه، 428-429.

48. قطب، سيد (2003م). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط23، ج6، ص2885.
49. الأحزاب:1-3.
50. قطب، سيد (2003م). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط23، ج6، ص2885.

المصادر والمراجع:

- ابن عاشور، محمد طاهر(1984م). تفسير التحرير والتنوير. تونس، دار التونسية للنشر.
- ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتـوفى: 654هــ)، (د.ت) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شـرف، الجمهورية العربية المتحدة -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم(1973م). تأويل مشكل القرآن. ط2. شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر. مصـر، القـاهرة، مكتبـة دار التراث.
-ابن منظور.محمد بن مكرم بن علي(1414هــ).لسان العرب،ج12،ط3،ص280.لبنان، بيروت.
-أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف(1993م). تفسير البحر المحيط. ط1. المحقق: عادل أحمد، علي معوض. دار الكتاب العلمية.
- البحيري، سعيد حسن(1997م). علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1. لبنان، الشركة العالمية للنص.
- البقاعي، برهان الدين ابراهيم بن عمر(1480م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج1. مصر، القاهره، دار الكتاب الإسلامي.
-بولقرون، ابتيسام ونورة بلعيدان(2016م). الاتساق والانسجام في القرآن الكريم سورة محمد أنموذجا، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية.
-بودرع، عبد الرحمن(2007م). اثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الأصياء، ع25، يوليو، ص73. المغرب.
-بوستة، محمود(2009م). الاتساق والانسجام في سورة الكهف. الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة.
- الحارثي، عبد الوهاب ابوحنيفه(1989م). دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم. ط1.
- الخطابي،محمد(1991م).لسانيات النص، مدخل الي انسجام الخطاب،ط1.لبنان، بيروت، مركز الثقافي العربي.
- الخطيب، عبدالله(2009م). مكانة النبي وخصائصه في سورة الأحزاب. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، ج6، ع1.
- الخوالدة، فتحي رزق(2006م).تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام.الأردن، عمان،أرمنة للنشر والتوزيع.
- الدوسري، منيرة محمد ناصر(1426هــ). أسماء سور القرآن وفضائلها. ط1. الرياض، دار ابن الجوزي.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(د. ت). تحقيق: مجد أبو الفضل ابراهيم، ج1. لبنان، بيروت، دار المعرفة.
- السيوطي، جلال الدين(د.ت). الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبوالفضل لابراهيم، ج3. مصر، القاهرة، دار التراث.
- السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين(1993م). الدر المنثور في التفسير المأثور. لبنان، بيروت، دار الفكر.
-شارودو، باتريك ودومنيك مونغو وآخرين(2008م). معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود. تونس، منشـورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.
- الطلحي،ردة الله بن ردة بن ضيف الله(1423م). دلالة السياق.السعودية،مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
- العبد، محمد(2005م). النص والخطاب والاتصال. مصر، القاهرة. ط1. طبع الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي. ص101
- عمر، احمد مختار(1998م). علم الدلالة، ط 5. مصر، القاهرة، عالم الكتب.
- الفقي،صبحي ابراهيم(2000م). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية علي السور المكية،ط1.مصر، القاهرة، دار قبـاء للنشر والتوزيع.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبوظاهر محمد بن يعقوب(2005م). القاموس المحيط. لبنان، بيروت، دار الرسالة للطباعة والنشر تحقيق: مكتب تحقيق التراث في موسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرقوسي.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن احمد أبي بكر(2006م). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السـنة وأي القرآن،تحقيـق: عبـدالله التركي، موسسةالرسالة..ط1.ج7.
- قطب، سيد (2003م). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط23.
- لخلف، نوال(2007م). الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أنموذجا. الجزائر، جامعة الجزائر.
-المصري، ابن الأصبع(1963م). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. مصر، القاهرة. ص429
- مفتاح، محمد(1990م). دينامية النص تنظيم وإيجاز،ط2. بيروت، المركز الثقافي العربي.
- الولي، محمد(2007م). السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة. المغرب، مجلة الأحياء، يوليو، ع25، ص63.